زينة السماء

السؤال : **يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴾ [الصافات : ٦] . وفى آية أخرى : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات : ٤٧] . ما المقصود « بالزينة » فى الآية الأولى ؟ وهل المقصود منها أنها زينة للسماء أو أنها زينة للكواكب ؟ وفى الآية الثانية : ما المقصود بـ « البناء » و « السعة » ؟**

الجواب : إن الخالق سبحانه وتعالى يوجه الدعوة للإنسان حتى يتأمل ، وللكافر حتى يؤمن ، وللمؤمن حتى يزداد إيمانًا ، فكيف إذن يتخذ البعض أندادًا لهذا الخالق الأكرم الذى لا مثيل له أو لبديع صنعه ، لقد خلق الأرض فى يومين ، وثبت الأرض بالجبال لتوازنها . وأكثر من الخير فى الأرض من طيبات الرزق وازدياد الثروة التى تحتاج إلى عزيمة الإنسان ليعمل بالعقل المخلوق له من اللَّه ، والفكر الممنوح له من اللَّه ، والقدرة على التعاون مع غيره من البشر ، كل ذلك منحة من اللَّه تعالى ، وخلق اللَّه السماء بعد ذلك ، فبعد أن كانت السماء دخانًا أمرها اللَّه أن تكون وفق مشيئته هي والأرض ، وأوجد فى كل سماء ما أراده لها ، واقتضته حكمته وهو الخالق الكريم ، وزين كل سماء بمصابيح هي النجوم المنيرة ، ويزيد الخالق من الإيضاح لمن يرغب فى الفهم عنه فيقول فى محكم كتابه : ﴿ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ۝ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝ ﴾ [الصافات] .

إنه الخالق الواحد الأحد المستوجب للعبادة فلا شريك له فى ذات أو فعل أو صفة ، هو وحده الذى خلق السموات والأرض وما بينهما ، وهو مدبر أمر هذا الكون مالك كل المشارق ، وقد يفطن الذهن إلى هذا السؤال : أهناك أكثر من مشرق ؟

obeikandi.com

نعم ، فالخالق الذى سوى السموات السبع وما بينها من مختلف الأجرام السماوية ، هو القيِّم المهيمن على مواضع شروق الشمس وشروق كافة النجوم فهو الذى وضع نظام شروقها وغروبها ، وعندما توصل العلم إلى معرفة أن الأرض تدور حول محورها من الغرب إلى الشرق ، وتدور الأرض فى مجالها الفلكى حول الشمس ، لذلك فهناك أكثر من نقطة وأكثر من موضع تشرق منه الشمس ، ويختلف هذا الموضع من مكان إلى مكان على الأرض ومن فصل إلى فصل آخر .

وزين الخالق الأكرم السماء بزينة هي الكواكب المشرقة المختلفة الأحجام والأوضاع فى محيط رؤية العين للكون .

هكذا نعرف أن السماء أمرها مختلف عن الكواكب ، فلا علاقة لها بهذه الكواكب سوى أنها زينة للسماء ، ولها مهام أخرى أرادها اللّه أن تهدى الإنسان فى ترحاله وأن يعرف بها الفصول والمسافات[1] ، وغير ذلك من متعلقات علوم الفضاء والطيران والملاحة الجوية .

وقد توصل العلماء إلى ما يثير الذهن بالحكمة والخشوع لعظمة الرحمن .

فقد توصل العلماء إلى أن بين الأرض والشمس ثمانى دقائق ضوئية .

وبين الأرض وكوكب الشعراء ١٤ سنة ضوئية .

وهناك مجرات بيننا وبينها مليون سنة ضوئية .

ومعظم تلك المسافات لا تمكن قراءتها فى حدود الأرقام الممنوحة لنا فعندما نقيس بُعد مجموعة من المجرات ، فلابد لنا أن نحصل على نتيجة وحاصل ضرب عدد السنوات الضوئية فى عدد أيام السنة « ٣٦٥» يومًا فى عدد الساعات اليومية « ٢٤ ساعة » فى عدد الدقائق فى كل ساعة « ٦٠» دقيقة فى عدد الثوانى فى ثلاثمائة ألف كيلو متر .

وهكذا يكون الناتج رقمًا تصعب قراءته ، وهكذا نرى صدق قوله

---

(١) أيضا هي رجوم للشياطين التى تسترق السمع من السماء قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الملك : ٥] .

سبحانه وتعالى حين ينبهنا إلى اتساع مشيئته بما فوق الإدراك : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات : ٤٧] .

إن السماء قد أحكم اللّه بناءها بقوة ، وهو القادر على ذلك ، وهذه السماء التى تعلونا متسعة بملايين من السنين الضوئية وهى سعة مذهلة ، ولا تقدر عين على إدراك سعة الكون .

إن الإنسان عندما نزل على سطح القمر ، فرح العلماء بهذا الاكتشاف الذى اعتبروه إنجازًا علميا خارقا ، بينما القمر لا يبعد عن الأرض إلاّ بمقدار ثانيتين ضوئيتين .

obeikandl.com

آدم .. وإبليس

السؤال : **قال تعالى : ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [ص] ، وقال تعالى : ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [طه] ، ثم قال سبحانه فى السياق نفسه : ﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة : ٣٧] فلماذا تاب اللَّه على آدم ، وطرد إبليس من رحمته إلى يوم القيامة ؟**

الجواب : معصية الشيطان تختلف عن معصية آدم ، فالشيطان عصى اللَّه سبحانه وتعالى ، ورفض أمر السجود لآدم وكانت هذه معصية ، وآدم عصى اللَّه ، وأكل من الشجرة ، وهذه معصية . ولكن هاتين المعصيتين مختلفتان تمامًا .. فالشيطان حينما عصى ، استكبر على اللَّه سبحانه وتعالى ، وأصر على المعصية ، وقال : ﴿ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ وتحدى ، وأمعن فى التحدى ، ورفض أن يعترف أنه على خطأ بل رد الأمر على الآمر ، وهو اللَّه سبحانه وتعالى ، أما آدم عليه السلام فإنه حينما عصى اعترف بذنبه وتاب إلى اللَّه ، ولم يصر على ما فعل ، بل قال : يا رب ظلمنا أنفسنا فاغفر لنا وتب علينا ، كان هذا هو منهج آدم ، اعترف بألوهية اللَّه ، واعترف بعظم الذنب ، والتوبة عنه ، والتعهد بعدم العودة إليه[1] .

---

(١) اختلف أهل التأويل فى الكلمات التى قالها آدم ، فقال ابن عباس والحسن وسعيد ابن جبير والضحاك ومجاهد هي قوله : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف] .

وعن مجاهد أيضا : سبحانك اللهم لا إله إلا أنت ربي ظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم : وقالت طائفة رأى مكتوبا على ساق العرش « محمد رسول اللَّه » فتشفع بذلك ، فهي الكلمات .

وقالت طائفة : المراد بالكلمات البكاء والحياء والدعاء وقيل : الندم والاستغفار والحزن . =

أما إبليس فإنه على عكس ذلك ، لم يعترف بذنبه . . بل أصر على المعصية ، وأصر على أنّ رأيه هو الحق ، وأنه لم يخطئ وأنه حين يرد أمر اللّه فإنه يفعل ذلك باقتناع ، ولذلك استحق اللعنة إلى يوم الدين (١) .

= قال ابن عطية : وهذا يقتضي أن آدم عليه السلام لم يقل شيئا إلا الاستغفار المعهود .
وسئل بعض السلف عما ينبغي أن يقول المذنب فقال يقول ما قاله أبواه : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا ﴾ الآية وقال موسى : ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي ﴿١٦﴾ ﴾ [القصص] .
وقال يونس : ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الأنبياء] .
وعن ابن عباس ووهب بن منبه : أن الكلمات « سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسي اغفر لي إنك خير الغافرين ، سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسي فتب علي إنك أنت التواب الرحيم » .
وقال محمد بن كعب هي قوله : « لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسي فتب علي إنك أنت التواب الرحيم ، لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسي فارحمني إنك أنت الغفور الرحيم ، لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسي فارحمني إنك أرحم الراحمين » .
وقيل : الكلمات قوله حين عطس « الحمد لله » والكلمات : جمع كلمة والكلمة تقع على القليل والكثير .

(١) قال اللّه تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة] .
قال القرطبي قوله تعالى : ﴿ وَٱسْتَكْبَرَ ﴾ الاستكبار : الاستعظام ، فكأنه كره السجود في حقه واستعظمه في حق آدم ، فكان ترك السجود لآدم تسفيها لأمر اللّه وحكمته .
وعن هذا الكبر عبر عليه السلام بقوله : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر » . وفي رواية فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة . قال : « إن اللّه جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس » . أخرجه مسلم . ومعنى بطر الحق : تسفيهه وإبطاله . وغمط الناس : الاحتقار لهم والازدراء بهم . ويروى : « وغمص » بالصاد المهملة ، والمعنى واحد ، يقال : غمصه يغمصه غمصا واغتمصه ، أي استصغره ولم يره شيئا . وغمص فلان النعمة إذا لم يشكرها . وغمصت عليه قولا قاله ، أي عبته عليه . وقد صرح اللعين بهذا المعنى فقال : ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ [ص] . ﴿ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ ﴾ [الإسراء] ﴿ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ فكفره اللّه بذلك . فكل من سفه شيئا من أوامر اللّه تعالى أو أمر رسوله عليه السلام كان حكمه حكمه ، وهذا ما لا خلاف فيه .
وروى ابن القاسم عن مالك أنه قال : بلغني أن أول معصية كانت الحسد والكبر ، حسد=

= إبليس آدم ، وشح آدم فى أكله من الشجرة .

وقال قتادة : حسد إبليس آدم على ما أعطاه الله من الكرامة ، فقال : أنا ناري وهذا طيني . وكان بدء الذنوب الكبر ، ثم الحرص حتى أكل آدم من الشجرة ، ثم الحسد إذ حسد ابن آدم أخاه .

قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ قيل : كان هنا بمعنى صار ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴾ . وقال الشاعر :

بتيهاء قفر والمطي كأنها قطا الحزن قد كانت فراخا بيوضها

أى : صارت . وقال ابن فورك . « كان » هنا بمعنى صار خطأ ترده الأصول .

وقال جمهور المتأولين : المعنى أي كان فى علم الله تعالى أنه سيكفر ، لأن الكافر حقيقة والمؤمن حقيقة هو الذى قد علم الله منه الموافاة .

قلت : وهذا صحيح ، لقوله صلى الله عليه وسلم فى صحيح البخارى : « وإنما الأعمال بالخواتيم » .

وقيل : إن إبليس عبدالله تعالى ثمانين ألف سنة ، وأعطي الرياسة والخزانة فى الجنة على الاستدراج ، كما أعطي المنافقون شهادة أن لا إله إلا الله على أطراف ألسنتهم ، وكما أعطي بلعام الاسم الأعظم على طرف لسانه ، فكان فى رياسته والكبر فى نفسه متمكن .

قال ابن عباس : كان يرى لنفسه أن له فضيلة على الملائكة بما عنده ، فلذلك قال : أنا خير منه ، ولذلك قال الله عز وجل : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [ص] أى : استكبرت ولا كبر لك ، ولم أتكبر أنا حين خلقته بيدي والكبر لي فلذلك قال : ﴿ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ . وكان أصل خلقته من نار العزة ، ولذلك حلف بالعزة فقال : ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [ص] فالعزة أورثته الكبر حتى رأى الفضل له على آدم عليه السلام .

وعن أبي صالح قال : خلقت الملائكة من نور العزة وخلق إبليس من نار العزة .

obeikandl.com

إن الشرك لظلم عظيم

السؤال : يقول اللّه عز وجل : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ ﴾ [الزمر : ٥٣] فهل يدخل فيها الشرك ؟

الجواب : قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ ﴾ لا يدخل فيها الشرك لأن الشرك ليس ذنبًا ؛ لأن الذنب أن تفعل شيئًا منصوصًا على عقوبته ، إنما الشرك هذا خيانة عظمى ، بدليل أن الآية الأخرى تقول : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ ﴾ [النساء : ٤٨] .

والشرك لا نسميه ذنبًا ، فهو أكبر من الذنب ، لأن الذنب أن تؤمن بمنهج وبعد ذلك ، خالفت صاحب المنهج حين قال لك : اعمل كذا ، واعمل كذا فيكون هناك ذنب ، لكن كونك لا تؤمن بصاحب المنهج نفسه ، فيكون ذلك غير داخل فى الذنب ولذلك كل المفسرين يقولون : إن اللّه يغفر الذنوب جميعًا غير الشرك ، على أن المفهوم أن الشرك داخل فى الذنوب فنقول لهم : كلا ، إن الشرك غير داخل فى الذنوب ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ ﴾ .

بقى هذا الغفران ، هل رتبه الحق على مجرد المشيئة فقط ، أو هو سياق الآية ؟

قيل : إن الحق رتبه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ ﴾ لكن ماذا قال : ﴿ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ ﴾ [الزمر : ٥٤] أى : لا تتكل على أنه سيغفر الذنوب جميعًا ، فهو قد قال : ﴿ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُّ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الزمر] .

obeikandl.com

فإذا قال اللّه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ وبعدها يقول : ﴿ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ ﴾ [الزمر : ٥٤][1] .

---

(١) أخبر اللّه تبارك وتعالى أنه ﴿ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ ، أى : لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك به ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ ، أى : من الذنوب ، ﴿ لِمَن يَشَآءُ ﴾ أى : من عباده ، وقد وردت أحاديث متعلقة بهذه الآية الكريمة فلنذكر منها ما تيسر .

الحديث الأول : عن أنس بن مالك عن النبى صلى اللّه عليه وسلم قال : « الظلم ثلاثة فظلم لا يغفره اللّه ، وظلم يغفره اللّه ، وظلم لا يترك اللّه منه شيئاً . فأما الظلم الذى لا يغفره اللّه فالشرك ، وقال : ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ ، وأما الظلم الذى يغفره اللّه فظلم العباد لأنفسهم فيما بينهم وبين ربهم ، وأما الظلم الذى لا يتركه فظلم العباد بعضهم بعضاً حتى يدين لبعضهم من بعض » [رواه الشيخان] .

الحديث الثانى : عن أبي إدريس قال ، سمعت معاوية يقول ، سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقول : « كل ذنب عسى اللّه أن يغفره إلا الرجل يموت كافرا أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً » .

الحديث الثالث : عن أبي ذر أن رسول صلى اللّه عليه وسلم قال : « ما من عبد قال لا إله إلا اللّه ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة . قلت : وإن زنى وإن سرق؟ قال : وإن زنى وإن سرق . قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق - ثلاثا ، ثم قال فى الرابعة : على رغم أنف أبي ذر » ، قال فخرج أبو ذر وهو يجر إزاره وهو يقول : وإن رغم أنف أبي ذر ، وكان أبو ذر يحدث بهذا بعد ويقول : وإن رغم أنف أبي ذر « رواه الشيخان » .

وعن أبي ذر قال : كنت أمشي مع النبى صلى اللّه عليه وسلم فى حرة المدينة عشاء ونحن ننظر إلى أحد ، فقال : « يا أبا ذر! قلت : لبيك يا رسول اللّه قال : « ما أحب أن لي أحداً ذاك عندي ذهباً أمسي ثالثة وعندي منه دينار إلا ديناراً أرصده ، يعني لدين ، إلا أن أقول به فى عباد اللّه هكذا وهكذا » فحثا عن يمينه وعن يساره وبين يديه قال ثم مشينا فقال : « يا أبا ذر إن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا » ، فحثا عن يمينه ومن بين يديه وعن يساره ، قال : ثم مشينا فقال : « يا أبا ذر كما أنت حتى آتيك » قال : فانطلق حتى تورى عنى ، قال : فسمعت لغطاً ، فقلت : لعل رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم عرض له ، قال : فهممت أن أتبعه ، قال : فذكرت قوله لا تبرح حتى آتيك ، فانتظرته حتى جاء ، فذكرت له الذى سمعت ، فقال : « ذاك جبريل أتانى ، فقال : من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة » . قلت : وإن زنى وإن سرق؟ قال : « وإن زنى وإن سرق » [رواه أحمد والشيخان] .

الحديث الرابع : عن جابر ، قال : جاء رجل إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، فقال : يا رسول اللّه ما الموجبتان؟ قال : « من مات لا يشرك باللّه شيئا وجبت له الجنة ومن مات يشرك باللّه شيئاً وجبت له النار » .

=

= **الحديث الخامس** : قال الإمام أحمد ، عن ضمضم بن جوش اليمامى قال ، قال لى أبو هريرة : يا يمامى ! لا تقولن لرجل لا يغفر اللّه لك ، أو لا يدخلك الجنة أبدا ، فقلت : يا أبا هريرة إن هذه كلمة يقولها أحدنا لأخيه وصاحبه إذا غضب ، قال : لا تقلها فإنى سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقول : « كان فى بنى إسرائيل رجلان أحدهما مجتهد فى العبادة ، وكان الآخر مسرفاً على نفسه ، وكانا متآخيين ، وكان المجتهد لا يزال يرى الآخر على الذنب فيقول : يا هذا أقصر ، فيقول : خلِّنى وربى أبعثت عليّ رقيباً ؟ إلى أن رآه يوماً على ذنب استعظمه ، فقال له : ويحك أقصر ، قال : خلِّنى وربى ، أبعثت عليّ رقيباً ؟ فقال : واللّه لا يغفر اللّه لك ولا يدخلك الجنة أبدا ، قال : فبعث اللّه إليهما ملكاً فقبض أرواحهما واجتمعا عنده ، فقال للمذنب : اذهب فادخل الجنة برحمتى ، وقال للآخر : أكنت عالماً أكنت على ما فى يدى قادرا ؟ اذهبوا به إلى النار . قال : والذى نفس أبى القاسم بيده إنه لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته » .

obeikandl.com

أمانة الرسول صلى اللَّه عليه وسلم في البلاغ عن اللَّه تعالى

السؤال : **ما معنى قوله تعالى :** ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [آل عمران : ١٢] .

الجواب : إنه أمر من اللَّه لرسوله صلى اللَّه عليه وسلم وهو المبلغ عن اللَّه ، أن يحمل للكافرين خبرًا فيه إنذار . من هؤلاء الكفار ؟ هل هم كفار قريش ؟ الأمر جائز . هل هم اليهود ؟ الأمر جائز . فالبلاغ يشمل كل كافر .

والنص القرآنى حينما يأتى فهو يأتى على غير عادة الناس فى الخطاب ، ولأضرب هذا المثل - وللَّه المثل الأعلى وسبحانه منزه عن التشبيه أو المثل - أنت تقول لابنك : اذهب إلى عمك ، وقل له : إن أبى سيحضر لزيارتك غدًا . فماذا يكون كلام الابن للعم ؟ إن الابن يذهب للعم ويقول له : إنّ أبى سيزورك غدًا . لكن الآمر وهو الأب يقول : قل لعمك إن أبى سيزورك غدًا . فإذا كان الابن دقيق الأمانة فهو يقول : قال أبى : قل لعمك إن أبى سيزورك غدًا .

وعندما يقول الحق سبحانه : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [آل عمران : ١٢] .

فهذا معناه قمة الأمانة من الرسول المبلغ عن اللَّه ، فنَقَل للكافرين النص الذى أمره اللَّه بتبليغه للكافرين . وإلا كان يكفى الرسول صلى اللَّه عليه وسلم أن يذهب للكافرين ويقول لهم : ستُغلبون وتُحشرون . لكن من يدريهم أن هذا الكلام ليس من عند محمد وهو بشر ؟ لذلك يبلغهم الرسول صلى اللَّه عليه وسلم أن اللَّه أبلغه أن يبلغهم بقوله سبحانه : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [آل عمران : ١٢] .

إن الرسول لم يبلغهم بمقول القول : لا ، إنما أبلغهم نص البلاغ الذى أبلغه به اللَّه . وساعة يأمر الحق فى قرآنه رسوله صلى اللَّه عليه وسلم أن يبلغ أمرًا للكافرين فإن الرسول صلى اللَّه عليه وسلم مُخاطب . والكفار مُخاطبون ، فعندما يواجههم فإنه يقول لهم : ﴿ سَتُغْلَبُونَ ﴾ .

وفى آية أخرى يقول الحق : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنفال : ٣٨] .

إن القياس أن يقول : إن تنتهوا يغفر لكم ما قد سلف ، لكن الحق قال : ﴿ إِن يَنتَهُواْ ﴾ ، فكأن اللَّه حينما قال فالكفار غير حاضرين للخطاب ورسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم هو المتلقي للخطاب ، واللَّه يتكلم عن غائبين .

ولكن اللَّه سبحانه فى هذه الآية التى نحن بصددها يحمل الرسول صلى اللَّه عليه وسلم تمام البلاغ . فمرة يكون النقل من الآمر كما صدر منه سبحانه كقوله : ﴿ إِن يَنتَهُواْ ﴾ ومرة يأمره الآمر الأول أن يبلغ الكلمة التى يكون بها مخَاطِبًا ، أي لا تقل : سيغلبون وقل : ﴿ سَتُغْلَبُونَ ﴾ لأنك أنت الذى ستخاطبهم . وهذه الدقة الأدائية لا يمكن إلا أن تكون من قادر حكيم .

إنه بلاغ إلى كفار قريش أو إلى مطلق الذين كفروا . والغَلَبُ سيكون فى الدنيا ، والحشر يكون فى الآخرة .

فإذا ما كان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ينقل النص القرآنى ﴿ سَتُغْلَبُونَ ﴾ فمنى قالها رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ؟ لقد قالها والمسلمون قلة لا يستطيعون حماية أنفسهم ، ولا يقدرون على شىء . وكل مؤمن يحيا فى كنف آخر ، أو يهاجر إلى مكان بعيد . فهل يمكن أن يأتى هذا البلاغ إلا ممن يملك مطلق الأسباب ؟

لقد قالها الرسول مبلغًا عن اللَّه ، والمسلمون فى حالة من الضعف واضحة ، وما دام قد قالها ، فهي حجة عليه ، لأنّ مَن أبلغه إياها وهو اللَّه قادر على أن يفعلها . ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ ﴾ ليس العقاب فى الدنيا

فقط ، ولكن فى الآخرة أيضًا ﴿ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ هذه المسألة بشارة لرسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ولأصحابه ، وإنذار للكافرين به ، ويتم تحقيقها فى موقعة بدر . فسيدنا عمر بن الخطاب رضى اللَّه تعالى عنه لما نزل قول اللَّه : ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ [القمر : ٤٥] .

تساءل عمر بن الخطاب : أي جمع هذا ؟ إنه يعلم أن المسلمين ضعاف لا يقدرون على ذلك ، وأسباب انتصار المسلمين غير موجودة ، ولكن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم لم يكن يكلم المؤمنين بالأسباب ، إنما برب الأسباب ، فإذا ما تحدى وأنذرهم ، مع أنه وصحبه ضعاف أمامهم ، فقد جاء الواقع ليثبت صدق الحق فى قوله : ﴿ سَتُغْلَبُونَ ﴾ ويتم انتصار المسلمين بالفعل ، ويغلبون الكافرين .

ألا يُجعل صدق بلاغ الرسول صلى اللَّه عليه وسلم فيما يحدث فى الدنيا دليل صدقٍ على ما يحدث فى الآخرة ؟ إن تحقيق ﴿ سَتُغْلَبُونَ ﴾ يؤكد ﴿ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ﴾ . وفى هذه الآية شيئان :

الأول : بلاغ عن هزيمة الكفار فى الدنيا وهو أمر يشهده الناس جميعًا .

والأمر الآخر : هو فى الآخرة وقد يُكذبه بعض الناس .

وإذا كان الحق سبحانه قد أنبأ رسوله صلى اللَّه عليه وسلم بأنك يا محمد ستغلب الكافرين وأنت لا تملك أسباب الغَلَبَة عليهم . ومع ذلك يأتى واقع الأحداث فيؤكد أن الكافرين قد تمت هزيمتهم . وما دام قد صدق الرسول صلى اللَّه عليه وسلم فى البلاغ فى الأولى ولم يكن يملك الأسباب ، فلابد أن يكون صادقًا فى البلاغ فى الثانية وهى البلاغ عن الحشر إلى نار جهنم .

وبعض المفسرين قد قال : إن هذه المقولة لليهود ؛ لأن اليهود حينما انتصر المسلمون فى بدر زُلزِلوا زِلزَالاً شديدًا ، فلم يكن اليهود على ثقة فى أن الإسلام والمسلمين سينتصرون فى بدر .

آيـة السموات والأرض

السـؤال : لماذا كان خَلْقُ السموات والأرض أكبر من خلق الناس ؟

الجـواب : يقول الحق سبحانه : ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [غافر : ٥٧] .

لماذا ؟ لأن الناس من الأرض قد خُلقوا ، وفى الأرض قد عاشوا ، فالأصل هو أن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ؛ فالناس أبناء الأرض ، واقتياتهم منها وبقاء حياتهم عليها . وحتى يعيش ذلك الإنسان أمده اللَّه بجنس ما خُلِق منه . واذكروا جيدًا أننا قلنا إن اللَّه حين يعرض قضية الخلق للإنسان ؛ فهو سبحانه يعرضها عرضًا فيه مناعة ضد أية قضية أخرى تناقضها . ولذلك يقول لنا : إن خلق السموات والأرض وخلقكم هو أمر غيبى ، وما دام أمرًا غيبيا فلا رائى له ولا مشاهد له إلا الذى خلقه ، فخذوا علم الخلق منه ، ولذلك قال سبحانه وتعالى : ﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ [الكهف : ٥١] .

فيجب أن نحذر هؤلاء المضِلِّين الذين يحاولون إضلالنا بقضايا ليست حقيقية ، فالحق قد علم أزلاً بأنه سيوجد قوم يقولون : إن السماء والأرض خلقتا بطريقة كذا ، والإنسان خلق بأسلوب كذا ، وعندما نسمع هؤلاء نقول : هؤلاء هم المضلُّون ، وقد نبهنا اللَّه أزلاً إليهم .

إذن ، فوجود المضلِّين هو عين الدليل على صدق اللَّه ، هؤلاء الذين قالوا : الأرض كانت جزءا من الشمس وانفصلت عنها ، والإنسان أصله قرد ، لأنه لو لم يوجد مضلُّون لقلنا : « أين يا رب ما قلت عنهم إنهم مضلُّون ؟ » .

وحينما يعرض اللَّه سبحانه وتعالى أنه خلقنا من الأرض ؛ وجعل

اقتياتنا منها ، فإن العلم يأتى - حتى من الكافرين باللّه - ليؤيد هذه القضية . فحينما حللوا الإنسان ؛ وجدوه مكونًا من ستة عشر عنصرًا ، وحللوا الطين الذى يأتى منه الزرع والخصوبة فوجدوه ستة عشر عنصرًا أيضًا تتطابق مع عناصر الإنسان ، أولها الأُكسجين وآخرها المنجنيز . وعلى ذلك فالحق عندما يقول : أنا خلقت الإنسان من طين . نقول له : صدقت يا رب فقد جعلت اقتياتنا مما يخرج من الطين .

إذن . . فمسألة السماوات والأرض يجب أن يبدأ منها التعجب ، وأنت أيها الإنسان يجب أن تفطن إلى ما خُلق لك لتستدل على خالقك ، ولتؤمن ولتشهد أنه إله واحد ، وإن حاول أحد إضلالك وقال لك : هناك إله آخر ، فقل : لا إله إلا هو سبحانه .

وحين يتكلم الحق عن الإنسان فهو سبحانه يتكلم عن مكين فى الكون ، وهذا المكين فى الكون يحتاج إلى شيئين : إلى زمان ، وإلى مكان . والمكان للإنسان هو الأرض التى يسير عليها والسماء التى تظلّله ، والزمان هو ما ينشأ من الليل وما ينشأ من النهار ، ولذلك يريد الحق سبحانه أن يعطينا العبرة فى اختلاف الليل والنهار . ومعنى اختلاف الليل والنهار أن كلًا منهما يأتى خلف الآخر ، النهار يأتى خلف الليل ، والليل يأتى خلف النهار .

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [الفرقان : ٦٢] .

فاختلاف الليل والنهار يعنى ألا يكون النهار سرمدًا أي دائمًا لا ينقطع ، ولا يكون الليل كذلك سرمدًا ، ولذلك فإن هناك آيات أخرى يمتن فيها الحق علينا بهذه النعمة فيقول : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [القصص] .

العمى .. والهدى

السؤال : هل يستَحِبُّ الإنسانُ العمى على الهدى ؟ وما حكم ذلك ؟

الجواب : هناك من يقول : ما دام اللَّه هو الذى يهدى فيجب أن نترك الناس على ما هم عليه من إيمان أو كفر ، وما علينا إلا البلاغ ، ونقول لأصحاب هذا الرأى : تنبهوا إلى معطيات القرآن فيما يتعلق بقضية واحدة ، هذه القضية التى نحن بصددها هي الهداية ، ولنستقرئ الآيات جميعًا ، فسنجد أن الذين يرون أن الهداية من اللَّه ، وأنه ما كان يصح له أن يعذب عاصيًا ، لهم وجهة نظر ، والذين يقولون : إن له سبحانه أن يعذبهم ؛ لأنه ترك لهم الخيار لهم وجهة نظر ، فما وجهات النظر المختلفة حتى يصير الأمر على قدر سواء من الفهم ؟

إن الحق سبحانه وتعالى حينما يتكلم فى قرآنه الكلام الموحَى ، فهو يأمرنا أن نتدبره ، ومعنى أن نتدبره : ألا ننظر إلى واجهة النص ولكن يجب أن ننظر إلى خلفية النص . قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [النساء : ٨٢] .

والحق سبحانه وتعالى قد قال : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ [فصلت : ١٧] .

كيف يكون اللَّه قد هداهم ، ثم بعد ذلك يستحبون العمى على الهدى ؟

إذن . . فمعنى « هداهم » أى : دلَّهم على الخير . وحين دلهم على الخير فقد ترك فيهم قوة الترجيح بين البدائل ، فلهم أن يختاروا هذا ، ولهم أن يختاروا هذا ، فلما هداهم اللَّه ودلَّهم استحبوا العمَى على الهدى . واللَّه يقول لرسوله صلى اللَّه عليه وسلم فى نصين آخرين فى القرآن الكريم : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص : ٥٦] . فنفى عنه أن يهدى .

وأثبت له الحق سبحانه الهداية فى آية أخرى فقال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى : ٥٢] .

فكيف يثبت اللَّه فعلاً واحدًا لفاعل واحد ثم ينفى الفعل ذاته عن الفاعل ذاته ؟ نقول لهم : رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم عليه أن يدل الناس على منهج اللَّه . ولكن ليس عليه أن يحملهم على منهج اللَّه ؛ لأن ذلك ليس من عمله هو ، فإذا قال اللَّه : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى ﴾ أى : لا تحمل بالقسر والقهر من أحببت ، وإنما أنت ﴿ لَتَهْدِىٓ ﴾ أى : تدل فقط ، وعليك البلاغ وعلينا الحساب .

إذن . . فقول الحق : ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ ليس فيه حجة على القسرية الإيمانية التى يريد بعض المتحللين أن يدخلوا منها إلى منفذ التحلل عن منهج اللَّه ونقول لهؤلاء : هناك فرق بين هداية الدلالة وهداية المعونة ، فاللَّه يهدى المؤمن ويهدى الكافر ، أى : يدلهم ، ولكن من آمن به يهديه هداية المعونة ، ويهديه هداية التوفيق ، ويهديه هداية تخفيف أعمال الطاعة عليه .

obeikandl.com

معالجة الشُح

السؤال : ما معنى قوله تعالى : ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ﴾ [البقرة : ٢٧٢] ؟

الجواب : قوله تعالى : ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ﴾ تلك قضية تعالج الشُح منطقيا ، وكل معطٍ من الخلق عطاؤه عائد إليه هو ، ولا يوجد معطٍ عطاؤه لا يعود عليه إلا اللّه ، فهو سبحانه وحده الذى لا يعود عطاؤه لخلقه عليه ، لأنه سبحانه قبل أن يخلق الخلق له كل صفات الكمال ، فعطاء الإنسان يعود إلى الإنسان وعطاء ربنا يعود إلينا .

ولذلك قال بعض السلف الذين لهم لمحة إيمانية : ما فعلتُ لأحد خيرًا قط ؟ فقيل له : أتقول ذلك وقد فعلتَ لفلان كذا ولفلان كذا ولفلان كذا ؟ فقال : إنما فعلته لنفسى . فكأنه نظر حينما فعل للغير أنه فعل لنفسه . ولقد قلنا سابقًا : إن الإمام الحسن البصرى رضى اللّه تعالى عنه كان إذا دخل عليه من يسأله هشّ فى وجهه وبشّ ، وقال له : مرحبًا بمن جاء يحمل زادى إلى الآخرة بغير أجرة .

إذن . . فقد نظر إلى أنه يعطيه وإن كان يأخذ منه . فالحق سبحانه وتعالى يعالج فى هذه القضية : ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ﴾ أى : إياكم أن تظنوا أننى آمركم أن تعطوا غيركم ، لقد أمرتكم أن تنفقوا لأزيدكم أنا فى النفقة والعطاء ، ثم يقول : ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ ومعنى التوفية : الأداء الكامل . ولا تظنوا أنكم تنفقون على من ينكر معروفكم ؛ لأن ما أنفقتم من خير فاللّه به عليم .

إذن . . فاجعل نفقتك عند من يجحد ، ولا تجعل نفقتك عند من يحمد ، لأنك بذلك قد أخذت جزاءك ممن يحمدك وليس لدى اللّه جزاء لك .

كنت أقول دائمًا للذين يشكون من الناس نكران الجميل ونسيان المعروف : أنتم المستحقون لذلك ؛ لأنكم جعلتموهم فى بالكم ساعة أنفقتم عليهم ، ولو جعلتم ما تنفقون ابتغاء وجه اللَّه لكان أزكى لكم ، فهذه الآيات تزكية لعمل المؤمنين ، أم خير أريد به الأمر ؟

إنها الاثنان معًا ، فهي تعنى أنفقوا ابتغاء وجه اللَّه ؛ ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ أنتم لا تظلمون من الخلق ، ولا تظلمون من الخالق ، أما من الخلق فقد استبرأتم دينكم وعرضكم حين أديتم بعض حقوق اللَّه فى أموالكم ، فلن يعتدى أحد عليكم ليقول ما يقول ، وأما عند اللَّه فهو سبحانه يوفى الخير أضعاف أضعاف ما أنفقتم به .

obeikandl.com

الكفار وسماع القرآن

السؤال : **لقد أخبرنا اللّه عن عدم رغبة الكفار فى سماع القرآن ، بل والحضّ على ذلك ، رغم معرفتهم بإعجازه ، فما تعليقكم على ذلك ؟**

الجواب : القرآن فيه من عطاء اللّه ما تحبه النفس البشرية ، وما يستميلها ، لأنه يخاطب ملكات خفية فى النفس لا نعرفها نحن . . ولكن يعرفها اللّه سبحانه وتعالى . . هذه الملكات تنفعل حينما يقرأ القرآن . . ولذلك كان حرص الكفار على ألا يسمع أحد هذا القرآن ، حتى الذين لا يؤمنون باللّه .

وذلك أن كل من يسمع القرآن يجد له تأثيرًا وحلاوة قد لا يستطيع أن يفسرها . . ولكنها تجذبه إلى الإيمان .

ومن هنا كان أئمة الكفر يخافون سماع الكفار للقرآن أن يميلوا إليه . . ولو كان القرآن لا يعطى شيئًا من هذا ، ولا يخاطب الملكات الخفية فى النفس ، لما اهتم الكفار بأن يسمع أحد القرآن أو لا .

ولكن شعورهم بالقوة والقدرة القرآنية على النفس البشرية جعلهم لا يمنعون إسماع القرآن فقط ، بل ويعتدون على من يتلوه فى الأماكن العامة[1] ، وقالوا : ﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ [فصلت : ٢٦]

ومعنى : ﴿ وَالْغَوْا فِيهِ ﴾ : شوشوا عليه . . ولا يمكن أن يكون هذا هو مسلكهم ، وتلك هي طريقتهم ، إلا خوفًا مما يفعله القرآن الكريم فى

(١) كما فعل الكفار بعبد اللّه بن مسعود رضى اللّه تعالى عنه حين استجاب لرغبة النبى صلى اللّه عليه وسلم وقرأ القرآن على ملأ من المشركين حول الكعبة فانهالوا عليه ضرباً حتى حمل إلى النبى صلى اللّه عليه وسلم .

النفس البشرية . . وكيف يستطيع أن يؤثر فيها . . وأن يجذب النفس الكافرة أو غير المؤمنة إلى حظيرة الإيمان[١] .

وتلك من معجزات القرآن الكريم التى يتميز بها عن أي كتاب فى هذا العالم .

(١) قال القرطبي فى التفسير ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴾ [المدثر : ١٨] يعنى : الوليد فكر فى شأن النبى صلى اللّه عليه وسلم والقرآن و﴿ وَقَدَّرَ ﴾ أى : هيأ الكلام فى نفسه ، والعرب تقول : قدرت الشيء إذا هيأته ، وذلك أنه لما نزل : ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [غافر] سمعه الوليد يقرؤها فقال : **والله لقد سمعت منه كلاما ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن ، وإن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه ، وما يقول هذا بشر .**

وجاء فى الحديث أن خالد بن عقبة جاء إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وقال : « اقرأ علي القرآن فقرأ عليه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ فقال : أعد . فأعاد فقال : **إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أسفله لمغدق ، وإن أعلاه لمثمر ، وما يقول هذا بشر** » .

ذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب بغير إسناد ورواه البيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس بسند جيد إلا أنه قال : « الوليد بن المغيرة » بدل « خالد بن عقبة » وكذا ذكره ابن إسحاق فى السيرة بنحوه .

obeikandl.com

وما ربك بظلام للعبيد

السؤال : **اللّه لا يظلم مثقال ذرة وما هو بظلام للعبيد نرجو توضيح المعنى الكريم ؟**

الجواب : قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ [النساء : ٤٠] .

هذه الآية الكريمة . . نفت الظلم عن اللّه سبحانه وتعالى ، ثم تأتى الآية الكريمة بقول اللّه جل جلاله : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت : ٤٦] .

قد يظن ظان أن صيغة المبالغة « ظلام » أى : شديد الظلم ، وقول الحق سبحانه : ﴿ بِظَلَّٰمٍ ﴾ لا تنفى الظلم ولكنها تنفى المبالغة فى الظلم .

نقول له : إنك لم تفهم المعنى . . إن اللّه لا يظلم أحدًا . . **الآية الأولى** : نفت الظلم عن الحق تبارك وتعالى ولو مثقال ذرة بالنسبة للعبد ، **والآية الثانية** : لم تقل للعبد ولكنها قالت : ﴿ لِّلْعَبِيدِ ﴾ والعبيد هم كل خلق اللّه ، فلو أصاب كل واحد منهم أقل من ذرة من الظلم مع هذه الأعداد الهائلة ، فإن الظلم يكون كثيرًا جدا ، ولو أنه قليل فى كميته لأن عدد من سيصاب به هائل ، ولذلك فإن الآية الأولى نفت الظلم عن اللّه سبحانه وتعالى . ولكن صيغة المبالغة استخدمت لكثرة عدد الذين تنطبق عليهم الآية الكريمة[1] .

---

(١) روى مسلم [٢٥٧٧/ ٥٥] عن أبي ذررضى اللّه تعالى عنه عن النبى صلى اللّه عليه وسلم فيما روى عن اللّه تبارك وتعالى أنه قال يا عبادي إنى حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد=

obeikandl.com

obeikandl.com

= ذلك فى ملكي شيئا يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئا يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه .

سنريهم آياتنا فى الآفاق

السؤال : قال الله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ هل هذه الآيات نراها فى القرآن ؟

الجواب : نظرة واحدة فيما قال الله سبحانه وتعالى فى كونيات الحياة التى أتيحت للعقل البشرى فى القرن العشرين .. نجد أن القرآن الكريم يشير إليها لأن العمر فى الرسالة القرآنية إلى أن تقوم الساعة .. وما دام إلى أن تقوم الساعة .. يظل القرآن معجزة حتى قيام الساعة .. ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت : ٥٣] .

أى إن القرآن له عطاءان فى الإعجاز :

العطاء الأول : آيات فى الآفاق ، وهذه هى الآيات الكونية .

والعطاء الثانى : « آيات فى أنفسهم » وهذه هى الآيات التى تتعلق بأسرار الجسد البشرى .

وقول الحق : ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ أى أن القرآن هو الحق ، ولذلك يمكن أن نقول : إن آيات الكون ستأتى موافقة لآيات القرآن الكريم ، أى إن الله سبحانه وتعالى وضع فى القرآن الكريم من آيات الكون وأسراره وعن الجسد البشرى وتكوينه آيات يمكن أن يعطيها للمؤمنين وغير المؤمنين .

ولقد أعطى الله تبارك وتعالى من آيات الكون المؤمنين ، فبرع المسلمون الأوائل فى العلوم ، مثل جابر بن حيان الذى وضع أساس علم الكيمياء ، وابن سينا الذى وضع أساس علم الطب والفلك والرياضيات .. وابن النفيس الذى اكتشف الدورة الدموية ووصفها وصفًا علميا دقيقًا .. وابن الهيثم الذى برع فى الرياضيات والطبيعيات والطب. وكان أول من شرح

تركيب العين وكيف تعمل ؟ وأبو القاسم الذى نبغ فى العمليات الجراحية وغيرها .

ثم أعطى اللّه سبحانه من آيات الكون غير المؤمنين مما نشهده الآن من نهضة علمية فى دول الغرب . . وذلك يفسر قوله تبارك وتعالى : ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ أي أن آيات الكون . . ستجعل المنكرين للقرآن الكريم يعترفون أنه الحق . . ذلك أن المؤمن يعرف أن القرآن هو الحق . . ولكن المنكر للإسلام يكشف اللّه له آية فى أمر معجز . . يبين له أن هذا الدين حق . . ولقد حدث أخيرًا فى مؤتمرات الإعجاز العلمى للقرآن الكريم أن أعلن عدد من العلماء اعتناقهم للدين الإسلامى .

وإذا أردنا أن نعرف شيئًا عن معجزة القرآن فانظر ماذا قال عن الكون وكروية الأرض ودورانها حول نفسها . . وما يحدث فى أعماق البحار وغير ذلك مما لم يكتشف إلا فى القرن العشرين . . وإذا أردنا أن نعرف الإعجاز فى القرآن فى قوله : ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ فلننظر إلى مراحل تكوين الجنين ومراكز الأعصاب فى الجسد البشرى وتكوين الأذن والعين وغير ذلك من إعجاز لا يمكن أن يتحدث عنه بهذه الدقة إلا خالقه ، وهذا ما شهد به علماء نبغوا فى علومهم بينما هم منكرون للإسلام وللقرآن !

وهذه الحقائق العلمية التى أشار إليها القرآن الكريم لا يستطيع أحد أن ينكرها الآن لأنها أصبحت ثابتة الوجود .

والقرآن حين يتحدى فإنه لا يمكن أن يأتى بمعجزة لا يعرف عنها الخلق شيئًا ، فأنت لا تتحدى كسيحًا فى سرعة المشى ، ولا شيخًا كبيرًا ضعيفًا فى حمل الأثقال ، ولكنك إذا تحديت فلابد أن تتحدى مجموعة من الناس فيما نبغوا فيه .

ولذلك إذا قلنا إن القرآن جاء يتحدى العرب فى إعجاز الأسلوب واللغة ، فهذه شهادة للعرب أنهم نبغوا فى دنيا الكلمة ، وهنا عندما يغلبهم القرآن ويعجزهم يكون هذا هو التحدى ، تحد فيما نبغوا وتفوقوا فيه ، ولذلك كان لابد أن يكون العرب عندهم نبوغ فطرى فى الكلمة ، ويكون

الأداء الجيد المميز للكلمة مألوفًا لديهم شعرًا ونثرًا وخطابة .

وحين جاء القرآن الكريم يتحدى غير العرب ، تحداهم فى آيات الكون والخلق ولذلك نجد مثلاً قول الحق سبحانه وتعالى عن أصحاب النار : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ٥٦] .

obeikandl.com

جزاء رد الإساءة

السؤال : **هل عندما أرد على من أساء إلى أكون قد فعلت سيئة أو أكون قد أخذت حقي علمًا بأن اللّه يقول : ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾ ؟**

الجواب : يقول تعالى : ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الشورى : ٤٠] .

حتى نفهم المسألة نقول : الحق سبحانه وتعالى يأتى فى بعض الأحايين بلفظ : « المشاكلة » وهى ذكر الشىء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته ، ومثل ذلك قوله : ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ ﴾ [آل عمران : ٥٤] ، إن اللّه لا يمكر ، وإنما اللفظ جاء للمشاكلة ، أو أن اللفظ الكريم قد جاء فى استيفاء حقك بكلمة : ﴿ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾ لينبهك إلى أن استيفاء حقك بمثل ما صنع بك يعتبر سيئة إذا ما وازناه بالصفح والعفو عن المسىء ، يشير إلى ذلك سبحانه فى نهاية هذه الآية بقوله تعالى : ﴿ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ وبمثل ذلك كان ختام الآية السابقة : ﴿ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾ [النحل : ١٢٦] .

ويقول الحق : ﴿ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ ﴾ [البقرة : ١٩١] ، والفتنة مأخوذة من الأمر الحسى ، فصائغ الذهب يأخذ قطعة الذهب فيضعها فى النار فتنصهر ، فإذا ما كان يشوبها معدن غريب عن الذهب فهو يخرج ويبقى الذهب خالصًا ، فكأن الفتنة ابتلاء واختبار ، وقد فعل المشركون ما هو أسوأ من القتل ، فقد حاولوا من قبل أن يفتنوا المؤمنين فى دينهم بالتعذيب ، فخرج المؤمنون فرارًا بدينهم .

والحق يأمر المسلمين فى قتالهم مع أهل الشرك أن يراعوا حرمة البيت الحرام ، فلا ينتهكونها بالقتال إلا إذا قاتلهم أهل الشرك .

وهكذا نجد أن أول أمر بالقتال إنما جاء لصد العدوان ، وأراد الحق

سبحانه وتعالى أن يسقط من أيدى خصوم الإسلام ورقة قد يلعبون بها مع المسلمين ، فهم يعلمون أن المؤمنين بالإسلام سيحترمون الأشهر الحرم ويحترمون المكان الحرام ويحترمون الإحرام فلا يقاتلون ؛ وربما أغرى ذلك خصوم الإسلام ألا يقاتلوا المسلمين إلا فى الأشهر الحرم ، ويظنون أن المسلمين قد يتهيبون أن يقاتلوهم ، فأراد الحق سبحانه وتعالى أن يشرع لهم ما يناسب مثل هذا الأمر فأذن لهم فى القتال ، فإن قاتلوكم فى الشهر الحرام فقاتلوهم فى الشهر الحرام[1] ، وإن قاتلوكم فى المكان الحرام فقاتلوهم فى المكان الحرام ، وإن قاتلوكم وأنتم حُرم فقاتلوهم ؛ لأن الحرمات قصاص .

إذن . . فأسقط الحق الورقة من أيدى الكافرين . إن الحق سبحانه وتعالى يعلل ذلك بأنه وإن كان القتال فى الشهر الحرام وفى المكان الحرام وفى حال الإحرام صعبًا وشديدًا فالفتنة فى دين اللَّه أشد من القتل، لأن الفتنة إنما جاءت لِتُفسد على الناس دينهم ، صحيح أنها لا تعوق الناس عن أن يتدينوا ، ولكنها تفتن الذين تدينوا ، وقد حاولوا إجبار المسلمين الأوائل بالتعذيب حتى يرتدوا عن الدين ، وكان ذلك أشد من القتل لأنها فتنة فى الدين .

إن اللَّه هو الذى شرع الشهر الحرام فكيف يُفتن المؤمنون عن دين اللَّه ويُحملون على الشرك به ثم تقولون بعد ذلك إننا فى الشهر الحرام ؟ إن الشهر الحرام لم يكن حرامًا إلا لأن اللَّه هو الذى حرمه ، فالفتنة فى اللَّه شرك وهو أشد من أن يقاتل فى الشهر الحرام ، ولذلك فلا داعى أن يتحرج أحد من القتال فى الشهر الحرام عندما يفتن فى دينه . وحينئذ نعلم أن القتال إنما جاء دفاعًا .

وبعد ذلك هل يظل القتال دفاعًا كما يريد خصوم الإسلام أن يجعلوه دفاعًا عَمَّن آمن فقط ؟ أو كما يريد الذين يحاولون أن يدفعوا عن الإسلام أنه دين قتال ويقولون : لا ، الإسلام إنما جاء بقتال الدفاع فقط . نقول

---

(١) يقول تعالى : ﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [البقرة] .

لهؤلاء : قتال الدفاع عمن ؟ هل دفاع عمن آمن فقط ؟ أم عن مطلق إنسان نريد أن ندفع عنه ما يؤثر فى اختيار دينه ؟

هو دفاع أيضًا ، وسنسميه دفاعًا ، ولكنه دفاع عمن آمن ، ندفع عنه من يعتدى عليه ، وأيضًا عَمَّنْ لم يؤمن ندفع عنه من يؤثر عليه فى اختيار دينه لنحمى له اختياره ، لا لنحمله على الدين ، ولكن لنجعله حرا فى الاختيار ؛ فالقوى التى تفرض على الناس دينًا نزيحها من الطريق ، ونعلن دعوة الإسلام ، فمن وقف أمام هذه الدعوة نحاربه ؛ لأنه يفسد على الناس اختيار دينهم ، وفى هذا أيضًا دفاع .

﴿ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ﴾ [البقرة : ١٩١] لأنكم أحرى وأجدر أن تحترموا تحريم اللَّه للمسجد الحرام ، لكن إذا هم اجترأوا على القتال فى المسجد الحرام فقد أباح سبحانه لكم أيها المسلمون أن تقاتلوهم عند المسجد الحرام ما داموا قد قاتلوكم فيه . ﴿ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ ﴾ [البقرة] وما أسمى هذا الدين !!

إننا لا نؤاخذهم بعد أن انتهوا إلى الإيمان بما قدمت أيديهم من الاجتراء على أهل الإيمان ما داموا قد آمنوا ، ولذلك نرى عمر بن الخطاب وقد مر على قاتل أخيه زيد بن الخطاب : وأشار رجل وقال : هذا قاتل زيد . فقال عمر : وماذا أصنع به وقد أسلم ؟ لقد عصم الإسلام دمه .

لقد انتهت المسألة بإسلامه ، فالإيمان باللَّه أعز على المؤمن من دمه ومن نفسه ، وحين يؤمن فقد انتهت الخصومة . وهذا وحشى قاتل حمزة ، يقابله رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم وكل ما يصنعه رسول اللَّه هو أن يزوى وجهه عنه ، لكنه لا يقتله ولا يثأر منه . وهند زوجة أبى سفيان التى أكلت كبد حمزة ، أسلمت وانتهت فعلتها بإسلامها .

إذن . . فالإسلام ليس دين حقد ولا ثأر ولا تصفية حسابات ، فإذا كان الدم يغلى فى مواجهة الكفر ، فإن إيمان الكافر بالإسلام يعطيه السلامة ، هذا هو الدين .

خمر الدنيا .. وخمر الآخرة

السؤال : يقول اللّه تعالى فى جزاء المؤمنين : ﴿ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ . . فكيف يحرم اللّه سبحانه وتعالى الخمر فى الدنيا ، ثم يكافئ بها المؤمنين فى الآخرة ؟

الجواب : نعيم الجنة جاء على مثال ما هو معروف فى الدنيا ، ولكنّ حقيقته فوق ما يتصور العقل والسمع والنظر والخاطر، فهو نعيم لا يشبهه شىء من نعيم الدنيا ، وهو إن شابهه فى الاسم فهو مختلف عنه فى الصفة والحقيقة . فخمر الآخرة فى الجنة ليست كخمر الدنيا ، لم تتدنس ولم تتكدر .

ومن أتم الآيات عرف الحقيقة . قال تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ (١) [محمد : ١٥] .

---

(١) قوله تعالى : ﴿ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ قال الزجاج : أي ذات لذة فحذف المضاف . وقيل : هو مصدر جعل اسما ، أى : بيضاء لذيذة ؛ يقال شراب لذ ولذيذ ، مثل نبات غض وغضيض . ﴿ وَسُقُوا مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ لما قال عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ ﴾ [الحج : ١٤] وصف تلك الجنات ، أي صفة الجنة المعدة للمتقين . وقرأ علي بن أبي طالب رضى اللّه تعالى عنه : « مثال الجنة التى وعد المتقون » .

﴿ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ ﴾ أى : غير متغير الرائحة . والآسن من الماء مثل الآجن . وقد أسن الماء يأسن ويأسن أسنا وأسونا إذا تغيرت رائحته . وكذلك أجن الماء يأجن ويأجن أجنا وأجونا . ويقال بالكسر فيهما : أجن وأسن يأسن ويأجن أسنا وأجنا ، قاله اليزيدى . وأسن الرجل أيضا يأسن « بالكسر لا غير » إذا دخل البئر فأصابته ريح منتنة من ريح البئر أو غير ذلك فغشي عليه أو دار رأسه ، قال زهير :

قد أترك القِرن مصفرا أنامله يميد فى الرمح ميد المائح الأسن =

obeikandl.com

= ويروى : « الوسن » . وتأسن الماء تغير . أبو زيد : تأسن علي تأسنا اعتل وأبطأ . أبو عمرو : تأسن الرجل أباه أخذ أخلاقه . وقال اللحياني : إذا نزع إليه فى الشبه ، وقراءة العامة ﴿ءَاسِنٍ﴾ بالمد . وقرأ ابن كثير وحميد « أسن » بالقصر ، وهما لغتان ، مثل حاذر وحذر .

وقال الأخفش : أسن للحال ، وآسن (مثل فاعل) يراد به الاستقبال .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَنْهَرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ﴾ أى : لم يحمض بطول المقام كما تتغير ألبان الدنيا إلى الحموضة . ﴿ وَأَنْهَرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ أى : لم تدنسها الأرجل ولم ترنقها الأيدي كخمر الدنيا ، فهي لذيذة الطعم طيبة الشرب لا يتكرهها الشاربون . يقال : شراب لذ ولذيذ بمعنى . واستلذه عده لذيذا .

﴿ وَأَنْهَرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ العسل ما يسيل من لعاب النحل . ﴿ مُّصَفًّى ﴾ أى : من الشمع والقذى ، خلقه اللّه كذلك لم يطبخ على نار ولا دنسه النحل .

وفي الترمذى عن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبى صلى اللّه عليه وسلم قال : « إن فى الجنة بحر الماء ، وبحر العسل ، وبحر اللبن ، وبحر الخمر ، ثم تشقق الأنهار بعد » .

قال : حديث حسن صحيح .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضى اللّه عنه قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : « سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من أنهار الجنة » .

وقال كعب : نهر دجلة نهر ماء أهل الجنة ، ونهر الفرات نهر لبنهم ، ونهر مصر نهر خمرهم ، ونهر سيحان نهر عسلهم . وهذه الأنهار الاربعة تخرج من نهر الكوثر .

والعسل : يذكر ويؤنث . وقال ابن عباس : ﴿ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ أى : لم يخرج من بطون النحل .

obeikandl.com